

١

الأوائِــــلُ

صُهَيبٌ الرُومِيّ ❖ سَلْمَانُ الفَارِسِيّ

بِلالُ بن رَبَاحٍ ❖ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ

منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة نجوم الصحابة (١١)

الأوائِــــلُ

(١)

إعداد

محمد عبد الرحمن عويس

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم التسلسل
(٦٢)

جميع الحقوق محفوظة





دمشق ، حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (+٩٦٣١١) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨
البريد الالكتروني: algawthani@scs-net.org

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دَعَا الإِسْلَامُ إِلَى مَعَالِي الأُمُورِ، وَطَلَبَ مِنْ أَبْنَائِهِ أَنْ يَكُونُوا دَائِمًا فِي مُقَدِّمَةِ الأُمَمِ، وَقَدْ مَدَحَ اللهُ تَعَالَى السَّابِقِينَ فِي الخَيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التَّوبَة: ١٠٠]. وَحَثَّ القُرْآنُ الكَرِيمُ عَلَى المُسَارَعَةِ فِي الخَيرَاتِ، فَقَالَ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحَدِيد: ٢١].

وَيُوَضِّحُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنَّ الجَنَّةَ جَزَاءُ المُخْلِصِينَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأَنْبِيَاء:٩٠]. وَالأُمَّةُ دَائِمًا فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّسَابُقِ وَالتَّسَارُعِ، وَأَنْ يَكُونَ أَبْنَاؤُهَا هُمُ الأَوَائِلَ فِي مَيْدَانِ الخَيرِ وَالحَقِّ، وَهَذِهِ بَعْضُ نَمَاذِجَ مِنَ الأَوَائِلِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا مِثَالًا يُحْتَذَى، فَهَيَّا بِنَا إِلَى رَوْضَتِهِمْ، لِنَقْطِفَ مِنْ ثِمَارِهَا، وَنَشَمَّ مِنْ رَيَاحِينِهَا.

صُهَيبٌ الرُّومِيّ

كَانَ صُهَيْبٌ فِي بَدَايَةِ حَيَاتِهِ غُلَامًا صَغِيرًا يَعِيشُ فِي العِرَاقِ فِي قَصْرِ أَبِيهِ، الَّذِي وَلَّاهُ كِسْرَى مَلِكُ الفُرْسِ حَاكِمًا عَلَى الأُبُلَّةِ (إِحْدَى بِلَادِ العِرَاقِ)، وَكَانَ مِنْ نَسْلِ أَوْلَادِ النَّمِرِ ابنِ قَاسِطٍ مِنَ العَرَبِ، وَقَدْ هَاجَرُوا إِلَى العِرَاقِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، وَعَاشَ سَعِيدًا يَنْعَمُ بِثَرَاءِ أَبِيهِ وَغِنَاهُ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ.

وَذَاتَ يَومٍ، أَغَارَ الرُّومُ عَلَى الأُبُلَّةِ بَلَدِ أَبِيهِ، فَأَسَرُوا أَهْلَهَا، وَأَخَذُوهُ عَبْدًا، وَعَاشَ صُهَيْبٌ وَسْطَ الرُّومِ، فَتَعَلَّمَ لُغَتَهُمْ، وَنَشَأَ عَلَى طِبَاعِهِمْ، ثُمَّ بَاعَهُ سَيِّدُهُ لِرَجُلٍ مِنْ مَكَّةَ يُدْعَى عَبْدَ اللهِ بنَ جُدْعَانَ، فَتَعَلَّمَ التِّجَارَةَ، حَتَّى أَصْبَحَ مَاهِرًا فِيهَا، وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللهِ بنُ جُدْعَانَ مِنْهُ الشَّجَاعَةَ وَالذَّكَاءَ وَالإِخْلَاصَ فِي العَمَلِ، أَعْتَقَهُ.

السَّبَّاقُ إِلَى الإِسْلامِ:

وَعِنْدَمَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الإِسْلَامِ، كَانَ صُهَيبٌ مِمَّنْ أَسْرَعَ لِيَنْعَمَ بِدِفْئِهَا، فَذَهَبَ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ، وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ. وَلَمْ يَسْلَمْ صُهَيبٌ مِنْ تَعْذِيبِ مُشْرِكِي مَكَّةَ، فَتَحَمَّلَ ذَلِكَ فِي صَبْرٍ وَجَلَدٍ؛ ابْتِغَاءَ أَجْرِ اللهِ وَثَوَابِهِ.

الهِجْرَةُ:

وَهَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمْ يَكُنْ صُهَيبٌ قَدْ هَاجَرَ بَعْدُ، فَخَرَجَ لِيَلْحَقَ بِهِمْ، فَتَعَرَّضَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الهِجْرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ ثَرَاءَ صُهَيْبٍ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ، لِأَنَّهُ جَاءَ إِلَى بِلَادِهِمْ حِينَمَا كَانَ عَبْدًا فَقِيرًا، فَلَا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِهِمْ بِمَالِهِ وَثَرَائِهِ، وَصَغُرَ المَالُ فِي عَينِ صُهَيبٍ، وَهَانَ عَلَيهِ كُلُّ مَا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ الحِفَاظِ عَلَى دِينِهِ، فَسَاوَمَهُمْ عَلَى أَنْ يَتْرُكُوهُ، وَيَأْخُذُوا مَالَهُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِمَكَانِ المَالِ، وَقَدْ صَدَقَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ لَا يَعْرِفُ الكَذِبَ أَوِ الخِيَانَةَ.

وَكَانَ صُهَيبٌ تَاجِرًا ذَكِيًّا، تَاجَرَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ، فَرَبِحَ بَيْعُهُ، وَعَظُمَ أَجْرُهُ، وَاسْتَحَقَّ مَا رُوِيَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «صُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ» [ابْنُ سَعْدٍ].

السَّدُّ المَنِيعُ:

قَالَ صُهَيْبٌ: لَمْ يَشْهَدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَشْهَدًا قَطُّ إِلَّا كُنْتُ حَاضِرَهُ، وَلَمْ يُبَايِع بَيْعَةً قَطُّ إِلَّا كُنْتُ حَاضِرَهَا، وَلَمْ يَسِرْ سَرِيَّةً قَطُّ إِلَّا كُنْتُ حَاضِرَهَا، وَلَا غَزَا غَزْوَةً قَطُّ إِلَّا كُنْتُ

فِيهَا عَنْ يَمِينِهِ أَو شِمَالِهِ، وَمَا خَافُوا أَمَامَهُمْ قَطُّ إِلَّا كُنْتُ أَمَامَهُمْ، وَلَا مَا وَرَاءَهُم إِلَّا كُنْتُ وَرَاءَهُم، وَمَا جَعَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَينِي وَبَيْنَ العَدُوِّ قَطُّ حَتَّى تُوُفِّيَ. وَوَاصَلَ جِهَادَهُ مَعَ الصِّدِّيقِ ثُمَّ مَعَ الفَارُوقِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وَكَانَ بَطَلًا شُجَاعًا.

الجَوَادُ الكَرِيمُ:

كَانَ كَرِيمًا جَوَادًا، يُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُنْفِقُ المَالَ، قَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه يَومًا: لَولَا ثَلَاثُ خِصَالٍ فِيكَ يَا صُهَيبُ، مَا قَدَّمْتُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَرَاكَ تَنْتَسِبُ عَرَبِيًّا وَلِسَانُكَ أَعْجَمِيٌّ، وَتُكْنَى بِأَبِي يَحْيَى، وَتُبَذِّرُ مَالَكَ.

فَأَجَابَهُ صُهَيبٌ: أَمَّا تَبْذِيرِي مَالِي فَمَا أُنْفِقُهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ، وَأَمَّا اكْتِنَائِي بِأَبِي يَحْيَى فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَنَانِي بِأَبِي يَحْيَى فَلَنْ أَتْرُكَهَا، وَأَمَّا انْتِمَائِي إِلَى العَرَبِ فَإِنَّ الرُّومَ سَبَتْنِي صَغِيرًا، فَأَخَذْتُ لِسَانَهُمْ (لُغَتَهُمْ)، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّمِرِ بنِ قَاسِطٍ [ابنُ سَعْدٍ].

وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَعْرِفُ لِصُهَيبٍ فَضْلَهُ وَمَكَانَتَهُ، فَعِنْدَمَا

طُعِنَ ﷺ أَوْصَى بِأَنْ يُصَلِّيَ صُهَيْبٌ بِالنَّاسِ إِلَى أَنْ يَتَّفِقَ أَهْلُ الشُّورَى عَلَى أَحَدِ السِّتَّةِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ قَبْلَ مَوْتِهِ لِلْخِلَافَةِ، لِيَخْتَارُوا مِنْهُم وَاحِدًا.

وَكَانَ صُهَيْبٌ طَيِّبَ الخُلُقِ، ذَا مُدَاعَبَةٍ وَظُرْفٍ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ أَتَى المَسْجِدَ يَوْمًا وَكَانَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَرِيضَةً، فَوَجَدَ الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ جَالِسِينَ فِي المَسْجِدِ، وَأَمَامَهُم رُطَبٌ، فَجَلَسَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مُدَاعِبًا: «تَأْكُلُ التَّمْرَ وَبِكَ رَمَدٌ؟». فَقَالَ صُهَيبٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَمْضَغُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى (أَي: آكُلُ عَلَى نَاحِيَةِ عَيْنِي الصَّحِيحَةِ)، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ [ابْنُ مَاجَه].

وَفَاةُ المُجَاهِدِ:

وَظَلَّ صُهَيْبٌ يُجَاهِدُ أَعْدَاءَ اللهَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى كَانَتِ الفِتْنَةُ، فَاعْتَزَلَ النَّاسَ، وَاجْتَنَبَ الفِتْنَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى العِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَالذِّكْرِ حَتَّى مَاتَ ﷺ بِالمَدِينَةِ سَنَةَ (٣٨هـ)، وَعُمُرُهُ آنَذَاكَ (٧٣) سَنَةً، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ.

** ** **

سَلْمَانُ الفَارسِيّ

إِنَّهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، أَو سَلْمَانُ الخَيْرِ، أَو البَاحِثُ عَن الحَقِيقَةِ.. كَانَ ﵁ إِذَا سُئِلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا ابنُ الإِسْلَامِ، مِنْ بَنِي آدَمَ.

صَاحِبُ الكِتَابَين:

اشْتَهَرَ بِكَثْرَةِ العِبَادَةِ، وَكَثْرَةِ مُجَالَسَتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُفَارِقْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَسَمَّاهُ أَبُو هُرَيرَةَ صَاحِبَ الكِتَابَيْنِ (يَعْنِي الإِنْجِيلَ والفُرْقَانَ)، وَسَمَّاهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ لُقْمَانَ الحَكِيمَ، وَقَدْ آخى النَّبِيُّ ﷺ بَينَهُ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

رِحْلَةُ الإِسْلَامِ:

كَانَ سَلْمَانُ مَجُوسِيًّا ثُمَّ تَنَصَّرَ، وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ مِنْ رَاهِبٍ لِآخَرَ حَتَّى أَعْلَمَهُ آخِرُ رَاهِبٍ قَابَلَهُ بِاقْتِرَابِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَطَلَبَ سَلْمَانُ مِنْ بَعْضِ المُسَافِرِينَ أَنْ يَأْخُذُوهُ إِلَى جَزِيرَةِ العَرَبِ، لَكِنَّهُمْ أَخَذُوهُ وَبَاعُوهُ لِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ بِالمَدِينَةِ. وَذَاتَ يَوم ذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ بِطَعَامِ صَدَقَةٍ، فَرَفَضَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ.

وَفِي اليَومِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ فَقَبِلَهَا، كَمَا رَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ انْكَبَّ عَلَيهِ ﷺ يَبْكِي وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ. وَلَكِنْ حَالَ الرِّقُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُضُورِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ. وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «كَاتِبْ سَيِّدَكَ حَتَّى يُعْتِقَكَ»، فَكَاتَبَهُ.

وَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ الصَّحَابَةَ فَعَاوَنُوهُ حَتَّى نَالَ حُرِّيَّتَهُ. وَشَهِدَ مَع الرَّسُولِ ﷺ الخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا [أحْمَد].

الحِنْكَةُ العَسْكَرِيَّةُ:

كَانَ سَلْمَانُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ حَوْلَ المَدِينَةِ عِنْدَمَا أَرَادَتِ الأَحْزَابُ الهُجُومَ عَلَى المَدِينَةِ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَوَجَدُوا الخَنْدَقَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هَذِهِ مَكِيدَةٌ مَا كَانَتِ العَرَبُ تَكِيدُهَا. وَوَقَفَ الأَنْصَارُ يَوْمَهَا يَقُولُونَ: سَلْمَانُ مِنَّا، وَوَقَفَ المُهَاجِرُونَ يَقُولُونَ: بَلْ سَلْمَانُ مِنَّا. وَعِنْدَهَا نَادَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ قَائِلًا: «سَلْمَانُ مِنَّا آلَ البَيْتِ» [ابْنُ سَعدٍ].

أَمِيرُ المَدَائِنِ:

وَمِمَّا يُحْكَى عَنْ زُهْدِهِ أَنَّهُ كَانَ أَمِيرًا عَلَى المَدَائِنِ فِي خِلَافَةِ الفَارُوقِ عُمَرَ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ مِنْ بَيتِ المَالِ خَمْسَةَ

آلَافِ دِينَارٍ، لَا يَنَالُ مِنْهُ دِرْهَمًا وَاحِدًا، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ، وَيَقُولُ: «أَشْتَرِي خُوصًا بِدِرْهَم فَأَعْمَلُهُ، ثُمَّ أَبِيعُهُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، فَأُعِيدُ دِرْهَمًا فِيهِ، وَأُنْفِقُ دِرْهَمًا عَلَى عِيَالِي، وَأَتَصَدَّقُ بِالثَّالِثِ، وَلَو أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ نَهَانِي عَنْ ذَلِكَ مَا انْتَهَيتُ» [أَبُو نَعِيم].

وَيُرْوَى أَنَّه كَانَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيةٍ، فَمَرَّ عَلَيهِ فِتْيَةٌ مِنَ الأَعْدَاءِ وَهُوَ يَرْكَبُ حِمَارًا، وَرِجْلَاهُ تَتَدَلَّيَانِ مِنْ عَلَيهِ، وَعَلَيهِ ثِيَابٌ بَسِيطَةٌ مُهَلْهَلَةٌ، فَسَخِرُوا مِنْهُ، وَقَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي سُخْرِيَةٍ وَازْدِرَاءٍ: هَذَا أَمِيرُكُمْ؟! فَقِيلَ لِسَلْمَانَ: يَا أَبَا عَبدِ اللهِ أَلَا تَرَى هَؤُلَاءِ وَمَا يَقُولُونَ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: دَعْهُمْ فَإِنَّ الخَيرَ وَالشَّرَّ فِيمَا بَعدَ اليَومِ [ابنُ سَعْدٍ].

تَوَاضُعُ الأَمِيرِ:

وَمِمَّا رُوِيَ فِي تَوَاضُعِهِ أَنَّهُ كَانَ سَائِرًا فِي طَرِيقٍ، فَنَادَاهُ رَجُلٌ قَادِمٌ مِنَ الشَّامِ لِيَحْمِلَ عَنْهُ مَتَاعَهُ، فَحَمَلَ سَلْمَانُ مَتَاعَ الرَّجُلِ، وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَأَجَابُوا وَاقِفِينَ: وَعَلَى الأَمِيرِ السَّلَامُ. وَأَسْرَعَ أَحَدُهُمْ نَحْوَهُ لِيَحْمِلَ عَنْهُ قَائِلًا: عَنْكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ. فَعَلِمَ الشَّامِيُّ أَنَّهُ سَلْمَانُ

الفَارِسِيُّ أَمِيرُ المَدَائِنِ، فَأَسْقَطَ مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ، وَاقْتَرَبَ يَنْتَزِعُ الحِمْلَ، وَلَكِنَّ سَلْمَانَ هَزَّ رَأْسَهُ رَافِضًا وَهُوَ يَقُولُ: لَا، حَتَّى أُبَلِّغَكَ مَنْزِلَكَ [ابنُ سَعْدٍ].

وَحِينَ أَرَادَ سَلْمَانُ بِنَاءَ بَيْتٍ لَهُ سَأَلَ البَنَّاءَ: كَيفَ سَتَبْنِيهِ؟ وَكَانَ البَنَّاءُ ذَكِيًّا يَعْرِفُ زُهْدَ سَلْمَانَ وَوَرَعَهُ، فَأَجَابَهُ قَائِلًا: لَا تَخَفْ، إِنَّهَا بِنَايَةٌ تَسْتَظِلُّ بِهَا مِنَ الحَرِّ، وَتَسْكُنُ فِيهَا مِنَ البَرْدِ، إِذَا وَقَفْتَ فِيهَا أَصَابَتْ رَأْسَكَ، وَإِذَا اضْطَجَعْتَ (نِمْتَ) فِيهَا أَصَابَتْ رِجْلَكَ. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: نَعَمْ، هَكَذَا فَاصْنَعْ. وَتُوُفِّيَ رضي الله عنه فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ سَنَةَ (٣٥هـ).

** ** **

بلالُ بْنُ رَبَاح

حَدِيثُ مَكَّةَ:

إِنَّهُ بِلَالُ بنُ رَبَاحٍ الحَبَشِيُّ رضي الله عنه، كَانَ قَدْ بَدَأَ يَسْمَعُ عَنِ الرَّسُولِ الَّذِي جَاءَ بِدِينٍ جَدِيدٍ، يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَأَسْرَعَ لِيَكُونَ سَابِقَ الحَبَشَةِ إِلَى الإِسْلَامِ.

بَطَلُ الصَّحْرَاءِ:

ذَهَبَ بِلَالٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُسْلِمَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. وَيَنْتَشِرُ خَبَرُ إِسْلَامِ بِلَالٍ فِي أَنْحَاءِ مَكَّةَ، وَيَعْلَمُ سَيِّدُهُ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، فَيَغْضَبُ غَضَبًا شَدِيدًا، وَيُعَذِّبُ بِلَالًا بِنَفْسِهِ.

وَكَانَ المُشْرِكُونَ يَخْرُجُونَ بِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ، ذَلِكَ الوَقْتِ الَّذِي تَصِيرُ فِيهِ الصَّحْرَاءُ كَأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يَطْرَحُونَهُ عَارِيًا عَلَى الرِّمَالِ المُلْتَهِبَةِ، وَيَأْتُونَ بِالحِجَارَةِ الكَبِيرَةِ، وَيَضَعُونَهَا فَوْقَ جَسَدِهِ، وَيَتَكَرَّرُ هَذَا العَذَابُ الوَحْشِيُّ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَظَلُّ بِلَالٌ صَابِرًا مُصَمِّمًا عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِ، فَيَقُولُ لَهُ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَو تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالعُزَّى، فَيَقُولُ بِلَالٌ: أَحَدٌ.. أَحَدٌ.

لَقَدْ هَانَتْ عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ بَعْدَمَا ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، فَلَمْ يَعُدْ يَهْتَمُّ بِمَا يَحْدُثُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أَمَرَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ صِبْيَانَهُمْ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَشَوَارِعِهَا لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَّبِعَ مُحَمَّدًا، وَبِلَالٌ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ: أَحَدٌ.. أَحَدٌ، فَيَغْتَاظُ أُمَيَّةُ وَيَتَفَجَّرُ غَمًّا وَحُزْنًا، وَيَزْدَادُ عَذَابُهُ لِبِلَالٍ.

وَذَاتَ يَومٍ، كَانَ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ يَضْرِبُ بِلَالًا بِالسَّوْطِ، فَمَرَّ عَلَيهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: يَا أُمَيَّةُ أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذَا المِسْكِينِ؟ إِلَى مَتَى سَتَظَلُّ تُعَذِّبُهُ هَكَذَا؟

فَقَالَ أُمَيَّةُ لِأَبِي بَكْرٍ: أَنْتَ أَفْسَدتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى. وَوَاصَلَ أُمَيَّةُ ضَرْبَهُ لِبلَالٍ، وَقَدْ يَئِسَ مِنْهُ، فَطَلَبَ أَبُو بَكْرٍ شِرَاءَهُ، وَأَعْطَى أُمَيَّةَ ثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنَ الذَّهَبِ نَظِيرَ أَنْ يَتْرُكَ بِلَالًا، فَقَالَ أُمَيَّةُ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ: فَوَاللَّاتِ وَالعُزَّى، لَو أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَشْتَرِيَهِ بِأُوقِيَّةٍ وَاحِدَةٍ لَبِعْتُهُ لَكَ بِهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَوْ أَبَيْتَ أَنْتَ إِلَّا مِئَةَ أُوقِيَّةٍ لَدَفَعْتُهَا، وَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ بِبِلَالٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُهُ بِتَحْرِيرِهِ.

مُؤَذِّنُ الرَّسُولِ ﷺ:

وَبَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتِقْرَارِهِمْ بِهَا، وَقَعَ اخْتِيَارُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى بِلَالٍ لِيَكُونَ أَوَّلَ مُؤَذِّنٍ لِلإِسْلَامِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ دَوْرُ بِلَالٍ عَلَى الأَذَانِ فَحَسْبُ، بَلْ كَانَ يُشَارِكُ النَّبِيَّ ﷺ فِي كُلِّ الغَزَوَاتِ، فَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ أَوَّلِ لِقَاءٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَقُرَيشٍ، دَفَعَتْ قُرَيْشٌ بِفِلْذَاتِ أَكْبَادِهَا، وَدَارَتْ حَرْبٌ عَنِيفَةٌ قَاسِيَةٌ انْتَصَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ انْتِصَارًا عَظِيمًا.

وَفِي أَثْنَاءِ المَعْرَكَةِ لَمَحَ بِلَالٌ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ، فَيَصِيحُ قَائِلًا: رَأْسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خلَفٍ، لَا نَجوتُ إِنْ نَجَا، وَكَانَتْ نِهَايَةُ هَذَا الكَافِرِ عَلَى يَدِ بِلَالٍ، تِلْكَ اليَدِ الَّتِي كَثِيرًا مَا طَوَّقَهَا أُمَيَّةُ بِالسَّلَاسِلِ مِنْ قَبْلُ، وَأَوْجَعَ صَاحِبَهَا ضَرْبًا بِالسَّوْطِ.

وَذَاتَ يَومٍ ذَهَبَ بِلَالٌ يَخْطُبُ لِنَفْسِهِ وَلِأَخِيهِ زَوْجَتَيْنِ، فَقَالَ لِأَبِيهِمَا: أَنَا بِلَالٌ، وَهَذَا أَخِي، عَبْدَانِ مِنَ الحَبَشَةِ، كُنَّا ضَالَّيْنِ فَهَدَانَا اللهُ، وَكُنَّا عَبْدَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللهُ، إِنْ تُزَوِّجُونَا فَالحَمْدُ للهِ، وَإِنْ تَرُدُّونَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. فَزَوَّجُوهُمَا.

وَكَانَ بِلَالٌ ﷺ عَابِدًا للهِ وَرِعًا كَثِيرَ الصَّلَاةِ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَات يَومٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: «حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ دَفَّ نَعْلَيْكَ (صَوتَ نَعْلَيْكَ) بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ»، فَقَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِن لَيلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ لِرَبِّي مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ [البُخَارِي].

وَحَزِنَ بِلَالٌ لِوَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعِيشَ فِي المَدِينَةِ بَعْدَهَا، فَاسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ فِي الخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِيُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَذَكَّرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ

عَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ» [الطَّبَرَانِيّ]. وَذَهَبَ بِلَالٌ إِلَى الشَّامِ، وَظَلَّ يُجَاهِدُ بِهَا حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ.

** ** **

الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور

إِنَّهُ الْبَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ الخَزْرَجِيُّ الأَنْصَارِيُّ ﷺ، أُمُّهُ الرَّبَابُ بِنْتُ النُّعْمَانِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو بِشْرٍ، أَسْلَمَ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَيهَا النَّبِيُّ ﷺ.

فَضَائِلُهُ:

كَانَ سَيِّدَ الأَنْصَارِ وَكَبِيرَهُمْ، وَأَحَدَ الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى، وَكَانَ نَقِيبًا لِبَنِي سَلِمَةَ، وَأَوَّلَ مَنْ أَوْصَى بِثُلُثِ مَالِهِ.

مُحِبُّ الكَعْبَةِ:

خَرَجَ الْبَرَاءُ يَومًا مَعَ نُقَبَاءِ الأَنْصَارِ إِلَى مَكَّةَ، وَفِي الطَّرِيقِ حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَكَانَتْ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ نَاحِيَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ الْبَرَاءُ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

يَا هَؤُلَاءِ، قَدْ رَأَيتُ أَلَّا أَدَعَ هَذِهِ البَنِيَّةَ (يَقْصِدُ الكَعبَةَ) مِنِّي بِظَهْرٍ (وَرَاءَ ظَهْرِي)، وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا (أَي أَتَّجِهَ نَحْوَهَا)، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَاللهِ مَا بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ (يَقْصِدُونَ بَيتَ المَقْدِسِ)، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ، فَقَالَ البَرَاءُ: إِنِّي لَمُصَلٍّ إِلَى الكَعْبَةِ. فَقَالُوا لَهُ: وَلَكِنَّا لَا نَفْعَلُ.

فَكَانَ البَرَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ يُصَلِّي نَاحِيَةَ الكَعْبَةِ، وَبَاقِي أَصْحَابِهِ يَتَّجِهُونَ نَاحِيَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَظَلُّوا عَلَى هَذِهِ الحَالِ حَتَّى وَصَلُوا مَكَّةَ، وَكَانُوا يَعِيبُونَ عَلَى البَرَاءِ صَلَاتَهُ نَاحِيَةَ الكَعْبَةِ حَتَّى إِنَّهُ شَكَّ فِيهَا، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ بِفِعْلِهِ هَذَا قَدْ خَالَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ.

مَعَ الرَّسُولِ ﷺ:

وَلَمَّا وَصَلَ الأَنْصَارُ إِلَى مَكَّةَ أَسْرَعَ البَرَاءُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي، وَقَدْ هَدَانِي اللهُ لِلإِسْلَامِ، فَرَأَيتُ أَلَّا أَجْعَلَ هَذِهِ البَنِيَّةَ (الكَعْبَةَ) مِنِّي بِظَهْرٍ (وَرَاءَ ظَهْرِي) فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا، وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي شَكٌّ مِنْ ذَلِكَ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَو صَبَرْتَ عَلَيْهَا»، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ نَاحِيَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ، كَبَاقِي المُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ، فَاسْتَجَابَ البَرَاءُ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ [أَحْمَد].

أُمْنِيَّةُ البَرَاءِ:

عَادَ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَهُنَاكَ مَرِضَ مَرَضَ المَوْتِ، وَعَالَجَ سَكَرَاتِهِ، فَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَجْعَلُوهُ نَاحِيَةَ الكَعْبَةِ فَفَعَلُوا، فَكَانَ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَقْبَلَ الكَعْبَةَ المُشَرَّفَةَ بِوَجْهِهِ حَيًّا وَمَيْتًا، ثُمَّ تَحَوَّلَتِ القِبْلَةُ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ حَيْثُ الكَعْبَةُ، وَتَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّةُ البَرَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْهَا.

نِهَايَةُ البَرَاءِ:

تُوُفِّيَ البَرَاءُ فِي صَفَرٍ قَبْلَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ المَدِينَةَ بِشَهْرٍ وَاحِدٍ فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَ الجَنَّةَ مَثْوَاهُ.

** ** **

سلسلة نجوم الصحابة

١ - الخُلَفَاءُ الرَاشِدون
٢ - أَهلُ الجنةِ
٣ - القُرَّاءُ
٤ - الأُمَرَاءُ
٥ - العُلَمَاءُ
٦ - الأَوائِلُ
٧ - الشُّهَدَاءُ

٨١٠٠٥٩